(تفسيرُ الشَّيخِ البرَّاك)

القارئ: أعوذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ: {قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤) وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥) كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٨٨) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٨٩) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (٩٠) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٩١) لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} [آل عمران:٨٤-٩٢]

الشيخ: يقول -سبحانه وتعالى-: {قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ} هذا أمرٌ من الله لنبيِّهِ ولكلِّ مُكلَّفٍ، الإيمانُ بالله وكتُبه ورسُلِهِ، {قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ} ربًّا وإلهًا، {قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} هذه نظيرُ آيةٍ متقدمة في سورة البقرة {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ} [البقرة:١٣٦]

تضمنتِ الأمرَ بأصولِ الإيمان، الإيمانُ باللهِ وكتبِه ورسلِه، والإيمانُ بهذه الأصولِ يتضمَّنُ الإيمانَ بالملائكةِ وباليومِ الآخر؛ فإنَّ العلمَ بالملائكةِ والعلمَ باليومِ الآخر إنما عُرِفَ من طريقِ الرسل، وبما أنزلَ الله من كتبٍ، {لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ} أي: بين الرسل، بل نؤمنُ بهم كلِّهم، ليس كحالِ الكفرةِ الذين آمنوا ببعضٍ وكفروا ببعضٍ، ومَنْ كفرَ ببعضِ الرسلِ أو ببعضِ الكتبِ فهو كمن كفرَ بجميع الرسل، {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا} [النساء:١٥٠،١٥١]

ثم قال -تعالى-: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} هذه الآيةُ توافقُ معنى قوله -تعالى-: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [آل عمران:١٩] فالدينُ المرضيُّ المقبولُ المُنجي إنما هو دينُ الإسلام، هو دينُ الله، هو الذي لا يرضى اللهُ دينًا سواه، {وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة:٣] وهو دينُ

الرسلِ كلِّهم مِن أولهم إلى آخرِهم، دينُ الإسلام هو دينُ الرسلِ كلِّهم، وحقيقتُه: الاستسلامُ لله وحدَه، بعبادتِه وحده لا شريك له وطاعتِه في أمره، هذه حقيقةُ الإسلامِ، وهذه الحقيقة هي ما بَعَثَ اللهُ رسلَهُ من أولهم إلى آخرهم، ومن يبتغي غيرَ هذا الدِّين ويعتبرُهُ دينًا فلن يُقْبَلَ منه، إذن كلُّ مَن تديَّنَ بغيرِ دين الإسلام ولو انتسبَ إلى بعضِ النبواتِ وبعضِ الكتبِ، كاليهودِ والنَّصارى، موسى ومَن آمنَ به واتَّبَعَهُ مسلمون وعلى الإسلام، أمَّا الذين بدَّلوا وغيَّرَوا وحرَّفوا وانحرفوا فليسُوا من الإسلام في شيء، فاليهودُ والنصارى اليوم ليسوا على دينٍ صحيح، بل منذ بعثَ اللهُ مُحَمَّد -ﷺ- وكذَّبوهُ فليسُوا على الإسلام، ولو زعمُوا أنَّهم يتبعون المسيحَ أو يتَّبعون موسى أو يعملونَ بالتوراةِ أو بالإنجيل، كلُّ ذلك لا ينفعُهم، {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ}.

يجبُ أن يُبيَّنَ للناسِ، تُبَيَّنُ هذه الحقيقة، فإنه قد لُبِّسَ على كثيرٍ من الناسِ، لُبِّسَ عليعن وقيل لهم: "إنَّ اليهود والنصارى على دينٍ؛ لأنَّهم متبعونَ للأنبياءِ لموسى أو عيسى"، وهذه الحقيقةُ ترجعُ إلى الإيمانِ بعمومِ دعوةِ محمَّدٍ -ﷺ- فمَن زعمَ أنَّ اليهودَ والنصارى على دينٍ وأنَّهم مسلمون أو مؤمنون فإنَّه بذلك ينقضُ شهادةَ "أنَّ محمدًا رسولُ اللهِ" أنَّ محمدًا رسولُ اللهِ إلى جميع الناس، {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}.

{كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} وفي هذا دلالةٌ على أن مَن ارتدَّ -نعوذ بالله- وجحدَ الحقَّ بعد معرفتِهِ فهو حريٌّ بألَّا يُهدَى ولا يُوفَّق، {أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ} إلى قوله: {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا} وهذا يقتضي أنَّ الله يتوبُ عليهِ، وكلُّ مَن تابَ توبةً نصوحًا ورجعَ عن كفرِهِ ورجعَ عن معاصيهِ صادقًا في ذلك مع ربِّهِ فاللهُ يقبلُهُ، {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

ولكن الذين كفروا وتمادَوا، وتمادَوا في الكفرِ، {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ} وهذا يصدقُ على مَنْ تمادى في الكفرِ حتى ماتَ عليه فلن تُقبَلَ توبتُهُ عند الغَرْغَرَةِ ولا توبتُهُ يومَ القيامة.

ثم يُهدِّدُ -سبحانه وتعالى- الذين أصرُّوا على الكفر، كفروا وأصرُّوا على الكفرِ حتى ماتوا على ذلك، فإنه لنْ يُغْنِيهم من عذابِ اللهِ شيءٌ، {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا} وهذا إبطالٌ لما قد يظنونه من أنه يُمكن أنْ يَفْدُوا أنفسَهم بأموالٍ، يفدون أنفسَهم من عذابِ النار، الله -تعالى- يُبيّن أنه لن يُغني عنهم، لو ملكُوا ملءَ الأرض ذهبًا ثم قدَّموه فدًا لهم يفتدون به، فلن يُقبلَ منهم،

ولن يغني عنهم، {لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا} [ال عمران:١١٦] {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا} هذا يعني لو أنه ملكَهُ وقدَّمَهُ، ومعلومٌ أنه يوم القيامة ليس في أيديهِم ولا شيءٌ يهتدون به، لكن في ذلك قطعٌ لأطماعِهم وآمالِهم وإبطالٌ لظنونِهم.

ثم قال -سبحانه-: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} فالإنفاقُ الذي ينفعُهُ هو ما يُنفَقُ في هذه الدنيا ابتغاءَ وجهِ اللهِ من طيبِ نفسٍ، {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}.